

فجر الهدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

إِسْمَاعِيلُ

٦

دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للفغار واليافعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يونس عليه السلام
- ٨- شعيب عليه السلام
- ٩- أيوب عليه السلام
- ١٠- يونس عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُثِّرت وزيدت إشرافاً بذكر أخبار رُسل
الرحمة والإنسانية ، رُسلُ الحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ،
صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلعوا منها
الأوهام والباطيل ودعوا إلى عبادةِ إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام
وانتهاءً بحاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي
أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسلٍ وأنبياء .
قال الله تعالى: (وَكَأَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

دار القلم العربي

للأطفال

فَجَرُّ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ

اِسْمَاعِيْلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ
الذَّبِيح

من قصص
الأنبياء
عليهم السلام



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963 +

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولادة إسماعيلَ

تَزَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالِدُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
مِنَ السَّيِّدَةِ سَارَةَ، الَّتِي كَانَتْ عَاقِرًا لَا تَلِدُ. وَكَمْ كَانَ يَتَمَنَّى إِبْرَاهِيمُ
الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ الْوَلَدَ وَالذَّرِيَّةَ الصَّالِحَةَ .
فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَعَائِهِ وَطَلْبِهِ، وَبَشَّرَهُ بِغُلَامٍ يَكُونُ سَيِّدًا
مُطَاعًا كَثِيرَ النَّسْلِ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾^(١).

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ هَجَرَ قَوْمَهُ فِي بَابِلَ، وَارْتَحَلَ مَعَ
زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَابْنِ أَخِيهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِصْرَ. وَهَنَّاكَ أَهْدَى
مَلِكُ مِصْرَ النَّبِيُّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، جَارِيَّةً تُدْعَى "هَاجِرَ"
لِتَقُومَ عَلَى خِدْمَةِ وَرِعَايَةِ السَّيِّدَةِ سَارَةَ. وَرَغِبَتْ سَارَةُ أَنْ يَتَزَوَّجَ
إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَاجِرَ عَلَّهَا تُنْجِبَ لَهُ الْوَلَدَ. وَهَذَا مَا حَصَلَ
إِذْ حَمَلَتْ هَاجِرُ، بَعْدَ حِينٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَأَنْجَبَتْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ

(١) سورة: الصافات (١٠١).

السَّلَامُ. وَلَكِنَّ غَيْرَةَ النِّسَاءِ لَابُذٌ وَأَنْ تَنْكَشِفَ وَتَظْهَرَ. فَكَيْفَ يُمَكِّنُ
لِهَذِهِ الْجَارِيَةِ أَنْ تَكُونَ أَسِيرَةً مُحَبَّبَةً مُقَرَّبَةً إِلَى إِبْرَاهِيمَ دُونَهَا، وَقَدْ
وَلَدَتْ لَهُ الْوَلَدَ وَالذَّرِيَّةَ الصَّالِحَةَ؟ فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ طَلَبَتْ مِنَ
النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَا تَرَاهَا وَأَنْ تَغِيبَ عَنْهَا.

هاجرُ واسماعيلُ منفردين

سَارَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِزَوْجَتِهِ هَاجَرَ، وَابْنِهِ
إِسْمَاعِيلَ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ جَافٍ مُجْدِبٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ،
حَيْثُ مَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ الْيَوْمَ، فَتَرَكَهُمَا هُنَاكَ، وَحِيدَيْنِ يُعَانِيَانِ الْجُوعَ
وَالْعَطَشَ. وَلَكِنَّ هَاجَرَ لَمْ تَسْتَسْلِمَ بَلْ حَاوَلَتْ أَنْ تُثْنِي^(١) زَوْجَهَا
عَنْ رَأْيِهِ، وَتَعَلَّقَتْ بِثِيَابِهِ مُتَوَسِّلَةً مُتَضَرِّعَةً وَقَالَتْ:

يَا إِبْرَاهِيمُ كَيْفَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا وَحِيدَيْنِ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يَكْفِينَا مِنْ
طَعَامٍ وَشَرَابٍ؟ وَعِنْدَمَا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: يَا هَاجِرُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِهَذَا. عِنْدَهَا رَجَعَتْ هَاجِرُ، وَاطْمَأَنَّتْ
وَسَكَنَتْ نَفْسُهَا وَقَالَتْ:

إِذَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَنْ يُضَيِّعَنَا، وَأَنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ

(١) تُثْنِي: تَرُدُّ.

السَّلَامُ، حَزِينًا، كَثِيبًا كَادَ قَلْبُهُ يَتَمَرَّقُ حُزْنًا وَكَمَدًا عَلَى زَوْجِهِ وَوَلَدِهِ
 إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى مَكَانٍ لَا يَرُونَهُ فِيهِ، تَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ
 رَافِعًا يَدَيْهِ مُتَضَرِّعًا، أَنْ يَحْفَظَ لَهُ زَوْجَهُ وَوَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأَنْ
 يَحْمِيَهُمَا وَيَرْزُقَهُمَا مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْخَيْرَاتِ قَائِلًا:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ يَدَيْكَ الْمَحْرَمِ رَبَّنَا لِئُقِيمُوا
 الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
 يَشْكُرُونَ﴾^(١).

بئر زمزم

وَانزَلَتْ هَاجِرُ وَحِيدَةً، مَعَ ابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ الرِّضِيعَ، حَزِينَةً كَاسِفَةً
 الْبَالِ، كَثِيبَةً، وَمَرَّتْ بِهَا الْيَّامُ، تُرْضِعُ ابْنَهَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
 وَتَشْرَبُ مِمَّا فِي سِقَائِهَا مِنْ مَاءٍ، إِلَى أَنْ نَفَدَ الْمَاءُ، فَأَخَذَتْ ثُعَانِي
 مَعَ وَلِيدِهَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الظَّمَا وَالْعَطَشِ، تَحْتَ لَطَى
 الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ، وَأَخَذَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَلَوَّى مِنَ الْعَطَشِ،
 وَهِيَ بِدَوْرِهَا تَتَلَوَّى مِنَ الْعَطَشِ وَالْحُزْنِ عَلَى ابْنِهَا وَهِيَ تَرَاهُ يَجِفُّ
 كَخِرْقَةٍ نَدِيَّةٍ يَطْلُبُ مَاءً فَلَا تَجِدُهُ، وَأَتَى لَهَا أَنْ تَجِدَ الْمَاءَ، فِي

(١) سورة: إبراهيم (٣٧).

صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ^(١). لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا زَرْعَ. وَأَنْطَلَقْتُ يَدْفَعُهَا حُبُّهَا
وَعَطْفُهَا عَلَى ابْنِهَا الصَّغِيرِ، تَبَحُّثُ عَنِ الْمَاءِ عَلَيْهَا تَجِدُهُ فَتَنْقِذَ ابْنَهَا
مِنَ الْمَوْتِ الْمُحْتَمِّ. فَلَمْ تَجِدْ أَمَامَهَا، سِوَى جَبَلٍ يُدْعَى الصَّفَا،
فَقَامَتْ وَصَعِدَتْ إِلَى ذِرْوَتِهِ^(٢)، وَنَظَرَتْ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي، فَلَمْ تَرَ
أَحَدًا فَتَزَلَّتْ حَتَّى تَجَاوَزَتْ الْوَادِي تَسْعَى سَعْيَ إِنْسَانٍ مُشْرِفٍ عَلَى
الْمَوْتِ، ثُمَّ صَعِدَتْ إِلَى جَبَلٍ يُدْعَى الْمَرْوَةَ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا.
وَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، تَسْعَى فِي كُلِّ مَرَّةٍ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ،
صَاعِدَةً هَابِطَةً، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ تِلْكَ الشَّعِيرَةُ مِنْ
شَعَائِرِ حَجِّ الْمُسْلِمِينَ، إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، حَيْثُ يَطُوفُ الْمُسْلِمُونَ
بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ، سَبْعَ مَرَّاتٍ اقْتِدَاءً بِالسَّيِّدَةِ هَاجِرَ.

وَاسْتَسَلَمْتُ هَاجِرُ إِلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ
يَسَأْ أَنْ تَمُوتَ هَاجِرُ، وَابْنُهَا إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا مَلَكًا
فَإِذَا بِهِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَأَخَذَ يَخْفِرُ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ. فَسُرَّتْ هَاجِرُ
سُرُورًا عَظِيمًا، وَأَخَذَتْ تُحِيطُهُ وَتُلْمِلِمُهُ وَتُزْمِزِمُهُ، وَتَعْرِفُ مِنْهُ لِتَمْلَأَ
سِقَاءَهَا وَهُوَ يَقُورُ، فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَيْدَهَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ:

لَا تَخَافِي يَا هَاجِرُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لَنْ يُضَيِّعَكَ وَابْنَكَ

(١) مجدبة: قاحلة لانبات فيها.

(٢) ذروته: قمته.

إِسْمَاعِيلَ، فَهُوَ وَالِدُهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، سَيِّبَيَانِ هَا هُنَا، بَيِّنَا
لِلَّهِ يَكُونُ قِبَلَهُ لِلْمُسْلِمِينَ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا.

زواجُ إسماعيل

وَبَيْنَمَا كَانَتْ هَاجِرُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَعِيدَةً، بِوُجُودِ الْمَاءِ وَتَدَفُّقِهِ
مِنْ زَمْزَمَ، بِإِرَادَةِ وَمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ وَقَدَ عَلَيْهَا قَوْمٌ يُعْرِفُونَ
بِاسْمِ "جُزْهُم" أَوْ الْجَرَاهِمَةَ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، وَقَدْ رَأَوْا بَعْضَ
الطُّيُورِ تَحُومُ فَوْقَ زَمْزَمَ، تَعْلُو وَتَهْبِطُ فَقَالُوا: إِنَّ هَذِهِ الطُّيُورَ لَتَدُورُ
عَلَى مَاءٍ، وَعَهْدُنَا بِهَذَا الْمَكَانِ أَنْ لَا مَاءَ فِيهِ، فَأَرْسَلُوا مَنْ يَسْتَطِيعُ
لَنَا الْأَمْرَ، وَعِنْدَمَا عَادَ رَسُولُهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِوُجُودِ الْمَاءِ قَالُوا لِلْسَيِّدَةِ
هَاجِرَ: أَتَسْمَحِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ؟.

وَأَفَقَتْ هَاجِرُ عَلَى نُزُولِهِمْ، كَيْ تَأْنَسَ بِهِمْ. وَمَرَّتِ السُّنُونُ،
وَسَبَّ إِسْمَاعِيلُ وَتَرَعَرَعَ وَسَطُ الْجَرَاهِمَةِ، وَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ
مِنْهُمْ، فَكَانَ كَمَا يُقَالُ أَوَّلَ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى، فَقَالَ
إِسْمَاعِيلُ إِعْجَابَهُمْ وَعِنْدَمَا أَذْرَكَ^(١) زَوْجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَلَكِنْ فَرَحَةً

(١) أَذْرَكَ: بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ.

إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ تَدُمْ طَوِيلًا، إِذْ مَاتَتْ أُمُّهُ هَاجِرُ، فَحَزَنَ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَهِيَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ مِنْ لَبِئْهَا وَحَلِيبِهَا، وَبَذَلَتْ فِي سَبِيلِ إِنْقَاضِهِ كُلَّ غَالٍ وَنَفِيسٍ، وَلَاقَتْ مِنَ الْعَذَابِ مَا لَاقَتْ.

الرَّوْجَةُ الْعَاقَةُ

اشْتَقَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَوْلَدِهِ وَتَرَكْتِهِ، فَذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْهُ، حَتَّى اهْتَدَى إِلَيْهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْهُ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ:

- خَرَجَ إِسْمَاعِيلُ يَبْتَغِي لَنَا رِزْقًا. وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِدَافِعِ الْاُبُوءَةِ، أَنْ يَطْمَئِنَّ عَلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَهْوَ سَعِيدٌ مَعَ زَوْجِهِ أَمْ لَا؟ أَتَكُونُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مُطِيعَةً تَقِيَّةَ حَمِيدَةٍ أَمْ لَا؟ فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهِمْ وَعَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ:

- نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ وَشَطَفٍ عَيْشٍ^(١)، لَأَنَّا كُلُّ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ، وَلَا نَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ النَّاسُ، وَأَخَذَتْ تَشْكُو إِلَيْهِ ضَعْفَ حِيلَةِ إِسْمَاعِيلَ وَفَقْرَهُ الشَّدِيدَ. عِنْدَهَا حَزَنُ الْأَبِ الْخَنُونُ عَلَى ابْنِهِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، لَا تَصْلُحُ لَهُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ يُعَانِي مَعَهَا، لِأَنَّهَا كَثِيرَةُ الشَّكْوَى، قَلِيلَةُ الْحَمْدِ لِهَذَا عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ لَهَا: إِذَا جَاءَ

(١) شظف عيش: فقر شديد.

إِسْمَاعِيلُ فَأَقْرَبْنِيهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: أَنْ يُغَيِّرَ عَتَبَةَ بَيْتِهِ. وَلَمَّا عَادَ
إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَأَى فِي وَجْهِ زَوْجَتِهِ عُيُوسًا، وَأَحْسَنَ أَنَّ شَيْئًا
قَدْ حَصَلَ فَسَأَلَهَا:

- هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ جَاءَ شَيْخٌ طَاعِنٌ فِي السَّنِّ^(١)، فَسَأَلَنِي عَنْكَ،
وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ. وَأَوْصَانِي أَنْ أَقْرَأَ
عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولَ لَكَ أَنْ تُغَيِّرَ عَتَبَةَ بَابِكَ. عِنْدِيذِ عَرَفَ
إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ وَالِدَتَهُ إِبْرَاهِيمَ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ أَمَرَهُ
أَنْ يُطْلَقَ زَوْجَتَهُ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاْمَرَزَ زَوْجَتَهُ
أَنْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا.

الزوجة التقية

ثُمَّ إِنَّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ أَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ، خَطَبَ مِنْ
الْجَرَاهِمَةِ فَتَاةً أُخْرَى وَتَزَوَّجَهَا، وَغَابَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُدَّةَ
طَوِيلَةٍ، لَمْ يَرُزْ فِيهَا ابْنُهُ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ أَنْ دَبَّ الشَّوْقُ فِي قَلْبِهِ،
لِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ ابْنِهِ. فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ الْجَدِيدَةَ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي
لَنَا رِزْقًا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ حَالِهِمْ، وَأَوْضَاعِهِمْ وَعَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ

(١) طاعن في السن: كبير.

فَقَالَتْ: نَحْنُ بَخِيرٌ وَسَعَةٍ، وَحَمِدَتِ اللَّهَ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا:
 إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِهِ مِنِّي السَّلَامَ، وَاطْلُبِي إِلَيْهِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى
 عَتَبَةِ بَيْتِهِ. فَلَمَّا عَادَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتَفْهَرَ مِنْهَا فِيمَا إِذَا
 جَاءَهَا أَحَدٌ، أَجَابَتْهُ: بِأَنَّ رَجُلًا كَبِيرًا، جَاءَهَا وَأَمَرَنِي أَنْ أُسَلِّمَ عَلَيْكَ،
 وَأَنْ تُحَافِظَ عَلَى عَتَبَةِ بَيْتِكَ. فَقَالَ لَهَا إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 - ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُبْقِيَكَ عِنْدِي، وَأَنْ أُحَافِظَ
 عَلَيْكَ.

بناء البيت العتيق

وَبَيْنَمَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَبْرِي نَبْلًا^(١) لَهُ، تَحْتَ
 دَوْحَةٍ^(٢) قَرِيبَةٍ مِنْ زَمْزَمَ، جَاءَهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ
 لَهُ:

- يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا لِلنَّاسِ، يَكُونُ
 قِبْلَةً لَهُمْ يَحْجُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ:
 ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا^(٣) لِبَنِي إِسْرَءِيلَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ

(١) يبري نبلًا: يسئ سهماً.

(٢) دوحه: واحة مكتظة بالشجر.

(٣) بوأنا: بينا.

يَتَنَبَّئُ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴿١٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ^(١) يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ ^(٢) عَمِيقٍ ﴿٣﴾ .

وَاسْتَجَابَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَطَلَبِ أَبِيهِ . وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَيْنِي الْحِجَارَةِ، وَإِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِهَا، وَرَفَعَا قَوَاعِدَ الْبَيْتِ .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ^(٤) .

وَاسْتَمَرَّا فِي الْبِنَاءِ حَتَّى اكْتَمَلَ، وَهُمَا يَدُورَانِ حَوْلَ الْبَيْتِ قَائِلِينَ :

﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ^(٥) .

فَكَانَ هَذَا الْبَيْتُ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، يُحُجُّ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، إِلَى الْآنَ وَإِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ^(٦) مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٧) .

(١) ضامر: بغير مهزول .

(٢) فجج عميق: طريق بعيد .

(٣) سورة: الحج (٢٦، ٢٧) .

(٤) سورة: البقرة (١٢٧) .

(٥) سورة: البقرة (١٢٧) .

(٦) ببكة: أي مكة وبكة اسم من أسمائها .

(٧) سورة آل عمران (٩٦) .

إسماعيل الذبيحُ

سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَبَّهُ أَنْ يَهَبَهُ وَلَدًا صَالِحًا،
وَذَلِكَ عِنْدَمَا هَاجَرَ مِنْ بِلَادِ قَوْمِهِ، فَبَشَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ،
وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي وُلِدَ مِنْ هَاجَرَ، بَيْنَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ
الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي السَّادِسَةِ وَالْثَمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ، فَهُوَ أَيْ
إِسْمَاعِيلُ، أَوَّلُ وَلَدٍ، وُلِدَ لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْوَلَدُ الْبَكْرُ
يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَبِّحِينَ﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ ﴿١﴾.

وَعِنْدَمَا كَبُرَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَشَبَّ، وَصَارَ بِمَقْدُورِهِ، أَنْ
يَسْعَى وَيَعْمَلَ كَمَا يَعْمَلُ وَيَسْعَى أَبُوهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَأَى إِبْرَاهِيمُ
الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْمَنَامِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَذْبَحَ
وَلَدَهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ "رُؤَى الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ". يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
قَرَأَ﴾ ﴿٢﴾.

(١) سورة: الصافات (٩٩ - ١٠١).

(٢) سورة: الصافات (١٠٢).

إِنَّهُ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَاخْتِيارٌ صَعْبٌ، لِلنَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَإِسْمَاعِيلُ هَذَا الْوَلَدُ الْعَزِيزُ الْبَكْرُ، وَالَّذِي جَاءَهُ عَلَى كِبَرٍ، سَوْفَ
يَقْفِدُهُ بَعْدَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتْرُكَهُ مَعَ أُمِّهِ السَّيِّدَةِ هَاجِرَ، فِي
وَادٍ لَيْسَ بِهِ أَنْيْسٌ، هَا هُوَ الْآنَ يَأْمُرُهُ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يَذْبَحَهُ.

وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، امْتَثَلَ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَاسْتَجَابَ
لِطَلْبِهِ وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ. ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَعَرَضَ الْأَمْرَ
عَلَيْهِ، وَلَمْ يَرُدَّ أَنْ يَذْبَحَهُ قَسْرًا، فَمَاذَا كَانَ رَدُّ الْغُلَامِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ؟ :

﴿ قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(١).

إِنَّهُ رَدُّ يَدُلُّ عَلَى مُنْتَهَى الطَّاعَةِ وَغَايَتِهَا لِلْوَالِدِ وَلِرَبِّ الْعِبَادِ، لَقَدْ
أَجَابَ إِسْمَاعِيلُ بِكَلَامٍ فِيهِ اسْتِسْلَامٌ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَفِيهِ امْتِثَالٌ
رَائِعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَيُّ أَمْرٍ هَذَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ،
وَحَانَتِ اللَّحْظَةُ الْحَاسِمَةُ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذَنْبِ
ابْنِهِ، انْقِيَادًا لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَضْجَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَالتَّصَقَّ
جَبِينُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَرْضِ وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ:

﴿ فَلَمَّا آسَلَمَا وَلَكُمُ^(٢) الْجَبِينِ ﴿١١٦﴾ وَتَدَيَّنَتْ أَنْ يُتَابِعَ إِبْرَاهِيمُ ﴿١١٧﴾ قَدْ صَدَّقَ الرُّؤْيَا إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٨﴾ إِنَّ هَذَا لَكُلُّهُ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١١٩﴾ وَتَدَيَّنَتْ يَذْبَحُ عَظِيمٌ ﴿١٢٠﴾

(١) سورة: الصافات (١٠٢).

(٢) تَلَّ لِلْجَبِينِ: أَيِ أَضْجَعَهُ وَجَبِينَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلْتَصِقًا بِالْأَرْضِ.

وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٧﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٨﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾

وَلَكِنَّ السَّكِينِ لَمْ تَقْطَعْ، بِإِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَهَا فِدَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، بِكَبْشٍ عَظِيمٍ مِنَ الْجَنَّةِ، أَبْيَضِ الصُّوفِ ذِي قُرُونٍ كَبِيرَةٍ.
وَهَكَذَا أَصْبَحَتِ الْأُضْحِيَّةُ سُنَّةَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسُنَّةَ
لِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً، يُؤَدُّونَهَا أَيَّامَ الْحَجِّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

إِسْمَاعِيلُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَلِيمًا صَبُورًا، صَادِقَ
الْوَعْدِ، مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَاةِ، أَمِيرًا أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، مُطِيعًا
لِوَالِدِهِ وَلِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٨١﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٢).

وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَقْرُونًا بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، بِالصَّبْرِ
وَالْمُجَالَدَةِ، وَبِالتَّقَى وَالصَّلَاحِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي

(١) سورة: الصافات (١٠٣ - ١١٠).

(٢) سورة: مريم (٥٤، ٥٥).

رَحْمَتَنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾.

وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، كُلَّ صِفَةٍ جَمِيلَةٍ، وَجَعَلَهُ نَبِيَّهُ
وَرَسُولَهُ، وَبَرَّاهُ مِنْ كُلِّ الثُّمِّ الَّتِي لَفَّقَهَا الْمُتَافِقُونَ الْجَاهِلُونَ، وَأَمَرَ
عِبَادَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ قُلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَلَا نَسْخَقُ
وَيَقُوبُ وَلَا نَسْبَاطُ وَمَا أَوْفَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْفَى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوَّلَ مَنْ رَكِبَ الْخَيْلَ، وَكَانَتْ
آنَ ذَاكَ وَحُوشًا غَيْرَ مُسْتَأَنَسَةٍ، فَأَنَسَهَا وَرَكَبَهَا وَلِهَذَا أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ بِالْخَيْلِ، وَحَثَّ (٣) عَلَى رُكُوبِهَا لِأَنَّهَا مِيرَاثُ آبِنَا إِسْمَاعِيلَ،
يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

اتَّخِذُوا الْخَيْلَ وَاعْتَقِبُوهَا فَإِنَّهَا مِيرَاثُ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ.

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ الْبَلِيغَةِ، الَّتِي
تَعَلَّمَهَا مِنَ الْعَرَبِ، الْعَارِبَةِ، الَّذِينَ نَزَلُوا بِمَكَّةَ مِنْ قَبَائِلِ جُزْهُمِ
وَالْعَمَالِيقِ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) سورة الأنبياء (٨٥، ٨٦).

(٢) سورة: البقرة (١٣٦).

(٣) حثَّ: شجَّع.

أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ^(١) لِسَانَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْبَيِّنَةِ^(٢) إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ
عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَدْ رُزِقَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ امْرَأَتِهِ الثَّانِيَةِ، اثْنَيْ عَشَرَ
وَلَدًا، وَكَانَ نَبِيًّا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِتِلْكَ النَّاحِيَةِ الَّتِي سَكَنْتَ فِيهَا
قَبَائِلُ جُرْهُمَ وَالْعَمَالِيقِ وَأَهْلُ الْيَمَنِ، وَانْتَقَلَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى رَحْمَتِهِ تَعَالَى، حِينَ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

(١) فَتَقَ: نَطَقَ.

(٢) الْبَيِّنَةُ: الْوَاضِحَةُ وَالسَّلِيمَةُ.